أدى فريضة الحج وعمره واحد وعشرون عاماً

ابن بطوطة شاهد على عجائب البلدان

انبهر ابن بطوطة بعمود السواري

ابن بطوطة

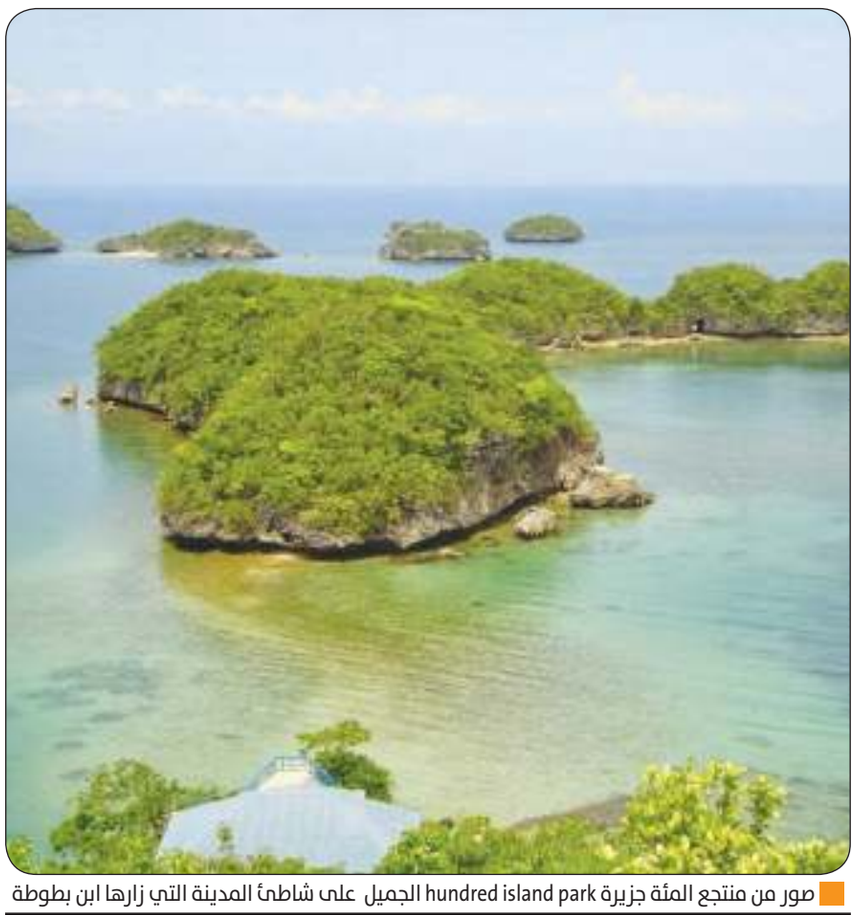
صور من منتجع المئة جزيرة hundred island park الجميل على شاطئ المدينة التي زارها ابن بطوطة

ابن بطوطة هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم الطنجي، رحالة شهير لف معظم بلاد العالم وأتى بمغامرة من كل بلد منها، من منا لا يريد أن يكون مثل هذا الإنسان الرائع الذي قام بزيارة العديد من البلدان حيث تعرف على ثقافات متنوعة وعادات وتقاليد مختلفة منها الطبيعي ومنها الغريب، والأجمل من كونه قام بزيارة هذه البلدان هو قيامه بتسجيل ما رآه فيها في كتاب شهير قام بكتابته له ابن الجوزي هو الكتاب الذي يعرف باسم «رحلات ابن بطوطة»، حيث أصبح هذا الكتاب بعد ذلك دليلا لكثير من المهتمين بالإطلاع على كل ما يتعلق بثقافات البلاد الأخرى.

قضي ابن بطوطة في رحلاته هذه حوالي ثلاثين عاما تعرض فيهما للعديد من الأحداث، منها العديد من الأحداث التي تعرضت فيها حياته للخطر، ومن خلال كتابه قام بإعطاء وصف دقيق لكل ماصادفه في رحلته من أماكن وشخصيات ومعالم وأحداث وغيرها من الأمور الشيقة التي قام بتناولها.

النشأة

ولد ابن بطوطة في مدينة طنجة بالمغرب في عام 1304م، وقام بدراسة الشريعة وقرر وهو في الحادية والعشرين من عمره وذلك في عام 1325م أن يخرج لأداء فريضة الحج، وعزم أنه في أثناء رحلته هذه سوف يعمل على التوسع في دراسة الشريعة في بلاد العرب.

عشق ابن بطوطة السفر منذ الصغر ومما حببه به أكثر الكتب التي تداولها العرب والتي يوجد بها العديد من أخبار البلدان ومعالمها مثل كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبة، و»مسالك الممالك « للأصطخري والتي تتناول البلدان من الناحية التاريخية والجغرافية.

وعرف العرب باهتمامهم بالرحلات ووصف البلاد التي قاموا بزياراتها وذلك من أجل معرفة المزيد من العلوم والمعارف ونقلها إلى العربية وكانت تفيد هذه الرحلات في نقل الثقافات والعادات المختلفة بين البلاد المختلفة بالإضافة للتعرف على شعوب جديدة.

إصرار وعزيمة

على الرغم من الأخطار والأهوال التي عرف ابن بطوطة أنه سوف يتعرض لها أثناء رحلته خاصة أنه سوف يتوجه إلى بلاد غريبة وسوف يدخل إليها لأول مرة إلا أن هذا لم يثني من عزيمته، فقرر بمنتهى العزم أن يبدأ رحلته ويكملها إلى نهايتها، فبدأ هذه الرحلة وحيدا ثم أنضم بعد ذلك لقافلة من التجار وواصل الرحلة هكذا، وكلما يمضي قدماً ينضم إليه آخرين.

في بداية رحلته وبالتحديد في مدينة بجاية تعرض ابن بطوطة للمرض وأصابه الضعف الشديد ولكنه أصر على مواصلة المسير مفضلا الموت وهو متوجه لمكة للحج عن التخلف عن القافلة.

رحلاته

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات خلال حياته بدأت الرحلة الأولى من المغرب وبالتحديد من طنجة وباتجاه شمال إفريقيا حتى الإسكندرية ومنها إلى دمياط فالقاهرة، ثم تابع سفره في النيل إلي أسوان فعيذاب على البحر الأحمر ومنها قام بالإبحار حتى وصل إلى جدة ، ثم عاد إلى القاهرة فدمشق عبر فلسطين، ثم سار إلى اللاذقية فحلب واتجه مع قافلة حجاج إلي مكة المكرمة، توجه بعد ذلك إلي العراق ثم فارس وحج للمرة الثانية ثم أنطلق من مكة إلى اليمن فالبحرين ومنها إلى مكة ورجع للقاهرة.

بدأت رحلة ابن بطوطة الثانية باتجاه الشمال فزار الشام ودخل أسيا الصغرى وبلغ سينوب على البحر الأسود ثم عبرها إلى جزيرة القرم وزار جنوب روسيا قبل أن ينتقل لأرض البلغار ومنها عاد إلى فارس ودخل أرض الهند، وفي الهند أقام سنوات في خدمة السلطان، ثم زار كل من سيلان وأندونيسيا وكانتون في الصين، وعاد من سومطرة إلى ظفار بحراً وانتقل برا إلى فلسطين، ثم رحل باتجاه بلاده عبر مصر فتونس وفي طريقه زار سردينا بحراً، وخلال زياراته لفاس عبر مضيق جبل طارق وزار الأندلس، وكانت الرحلة الثالثة إلى أعماق إفريقيا وحتى مالي ثم عاد إلى فارس بعد أن خاض الكثير من المشاق.

قام ابن بطوطة بوصف مفصل لكل ما صادفه في طريقه، وذكر جميع الأحداث التي مرت به فذكر الطريق والبلاد والقصور وأبواب المدن ومعالمها والأشخاص الذين مروا عليه والأحداث التي حدثت بينهم سواء تشاجر مع أحد أو تقابل مع أخر فأكرمه، حتى فترات مرضه ذكرها أيضاً ولم يغفل نقطة مهما كانت بساطتها، فلم يترك ابنبطوطة بلداً مر فيه إلا وصفه وذكر أهله وحكامه وعلمائه وقضاته.

مما قاله في وصف البلاد

يقول في وصفه لمدينة الإسكندرية «ثم وصلنا في أول جمادى الأولى إلى مدينة الإسكندرية حرسها الله، وهي الثغر المحروس والقطر المأنوس، العجيبة الشأن الأصيلة البنيان، بها ما شئت من تحسين وتحصين، ومآثر دنيا ودين، كرمت مغانيها ولطفت معانيها وجمعت بين الضخامة والإحكام مبانيها»

ولقد بهرته أيضاً مدينة القاهرة ووصفها قائلا « أم المدن، سيدة الأرياف العريضة والأراضي المثمرة، لا حدود لمبانيها الكثيرة، لا نظير لجمالها وبهائها، ملتقى الرائح والغادي، سوق الضعيف والقوي... تمتد كموج البحر بما فيها من خلق بالكاد تسعهم...»

كما سحرته دمشق وقال عنها «تنوع ونفقات الأوقاف الدينية في دمشق تتجاوز كل حساب، هناك أوقاف للعاجزين عن الحج إلى مكة، ومنها تدفع نفقات من يخرجون للحج نيابة عنهم، وهناك أوقاف أخرى توفر أثواب الزفاف للعرائس اللائي تعجز عوائلهن عن شرائها، وأوقاف أخرى لعتق رقاب السجناء، وهناك أوقاف لعابري السبيل تدفع من ريعها أثمان طعامهم وكسائهم ونفقات سفرهم لبلدانهم، كما أن هناك أوقافاً لتحسين ورصف الدروب، لأن كل الدروب في دمشق لها أرصفة على جانبيها يمشي عليها الراجلون، أما الراكبون فيمضون في وسط الدرب.»

ومما قاله فيما رأه في وصف الهند «ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرنا، ومعهم بعض أصحابنا فسألتهم ما الخبر فأخبروني أن كافرا من الهنود مات أججت النار لإحراقه ، وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا، جاء أصحابي واخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه»

وفي جزر المليبار قال «ومن عجائبها أن سلطانتها امرأة وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين، وهم يكتبون الأوامر في سعف النخيل بحديدة معوجة تشبه السكين ولا يكتبون في الكاغد إلا المصاحف وكتب العلم ولما وصلت إليها نزلت بجزيرة كنلوس وكان غرضي أن أسافر منها إلى المعبر وسرنديب وبنجالة ثم إلى الصين «

توفى ابن بطوطة في مراكش، طبعت رحلته مرارا وهي باسم « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» كما ترجمت فصول منها لعدد من اللغات الأجنبية.

وصف الإسكندرية بـ «الثغر المحروس»

وصل ابن بطوطه اسكندريه عاصمة مصر العريقه في العصر البطلمي في نص ابريل سنة 1325 و وصفها بإنها « الثغر المحروس ، و القطر المأنوس ، العجيبة الشأن الأصلية البنيان ، بها ما شئت من تحسين و تحصين ، و مآثر دنيا و دين ، كرمت مغانيها ، ولطفت معانيها ، و جمعت بين الضخامة والإحكام مبانيها» . و ذكر ان لها اربع أبواب : باب السدره ، و باب رشيد ، وباب البحر ، و الباب الاخضر. انبهر ابن بطوطه بمرسي الاسكندريه الذي قال عنه انه لم يرى في الدنيا مرسى مثله و ولا يضاهيه الا مرسى قاليقوط في الهند و مرسى سرداق في بلاد الترك و مرسى الزيتون « اسمه الآن تشيون » في الصين. شاف ابن بطوطه اطلال فنار الاسكندريه و ذكر ان الملك الناصر محمد بن قلاوون كان ينوي أن يبنى فنار بدله. و استغرب من عمود السوارى الذي وصفه بإنه من غرايب الاسكندريه و كان وقتها بارز وسط غابة نخل و لم يستوعب كيف أن العمود الرخام الضخم هذا ارتفع و اتنصب. طبعاً مصر خلال عصورها المختلفه كانت متطوره ومتقدمه فى فنون العماره و الهندسه و كان صعب على غير المصريين فهم قدرة المصريين على تحريك الحجاره ورفع العواميد الضخمه. مثل ما ابن بطوطه انبهر و استغرب رحاله قبله بكم الف سنه هو هيرودوتوس انبهر واستغرب هو كذلك من قدرات المصريين و تقدم مصر. حاكم الاسكندريه كان امير اسمه صلاح الدين ، و كان عايش وقتها فى الاسكندريه زكريا ابو يحيى الليحانى من ملوك الدوله الحفصيه و الذي لجأ لمصر و معه أبنائه وكان واحد منهم كان اسمه « المصرى » و الثاني كان اسمه «السكندرى» و سكنهم الملك الناصر فى دار السلطنه فى الاسكندريه واخرجت لهم الدوله المصريه مرتب يومى يعيشو منه.

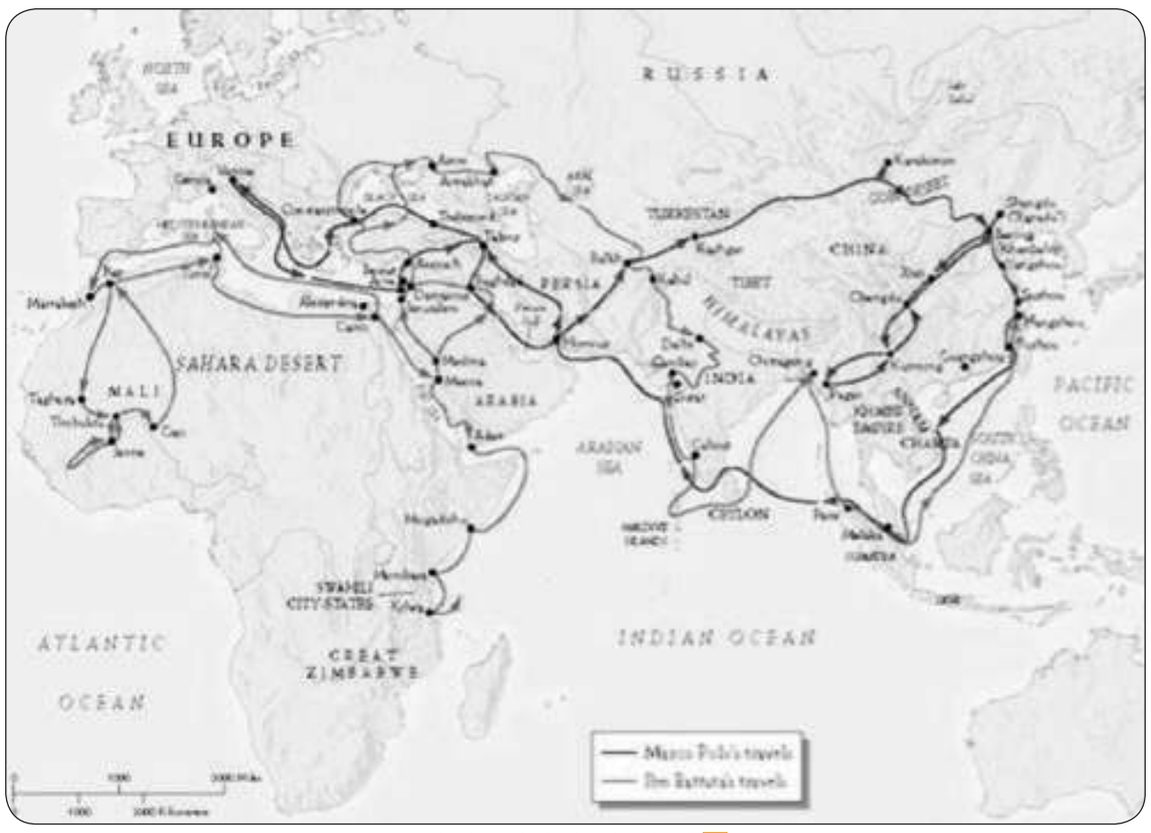

خريطة عامة لرحلة ابن بطوطة

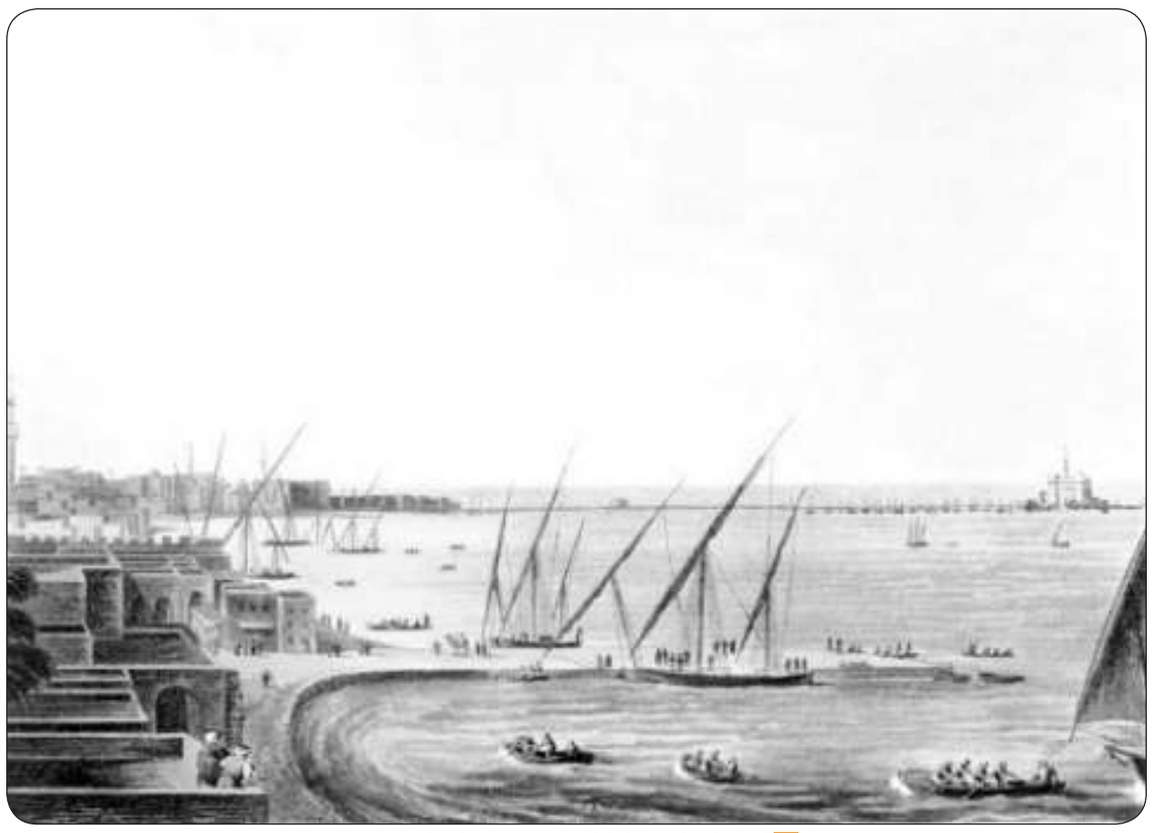
ابن بطوطة وصل الاسكندرية فى ابريل 1325م